ـ منطقيا ـ ان يكون النزاع العربي الاسرائيلي قد انطبع هو الآخر بهذه الاطوار ، ولا يجوز افتراضه ثابت الملامح ، دائم الخواص . لم يكن هكذا في ماضيه ، ولا ينبغي توقعه هكذا في مستقبله . وبالفعل ، تؤكد الشواهد الماضية ان النزاع اتجه نحو المزيد من التأزم والاستحكام . زاد عمقا وزاد اتساعا منذ انشاء اسرائيل عام١٩٤٨ . وابتداء من عام ١٩٦٧ ، لم يعد النزاع مقصورا على قضية ارض تقع داخل نطاق حدود فلسطين التاريخية ، بل تعداها الى ارض تتبع سيادة الدول العربية المجاورة. وأصبح النزاع يتسم بصفة الازمة المزمنة . واكتسب تسمية « ازمة الشرق الاوسط » واذا ترتب على زيادة احتدام النزاع المستعر حاليا في لبنان ان تم تقسيم لبنان ، واحتلت اسرائيل جنوب لبنان ، وهذا لم يعد فرضا يجوز استبعاده ، فان التوسع الاسرائيلي سيكون قد شمل دولة عربية اخرى . وهذا يطرح للاهتزاز كل مقومات التسوية كما حددتها قرارات مجلس الامن والامم المتحدة ، ويكسب النزاع بعدا جديدا في تفاقمه .

لقد تأثر النزاع العربي الاسرائيلي بشتى الصراعات والمواجهات التي اجتاحت المنطقة . ولكن كان من شأن النزاع ان اثر في الكثير منها ايضا ، بل كان في احوال عديدة عنصر تفجير لها اصلا . فجرت حرب١٩٥٦ المواجهة الحاسمة لنضال الشعوب العربية والافريقية من اجل استقلالها السياسي وانهاء سيطرة الاستعمار في صورته التقليدية القديمة . وفجرت حرب ١٩٧٣ معركة بالغة الاهمية مع الاستعمار الجديد كان محورها تصحيح اسعار النفط ، وخوض شعوب العالم الثالث معركة فاصلة بهدف تصحيح اسعار المواد الخام الاستراتيجية ، وبناء مقومات استقلالها الاقتصادي . واذا صح ذلك بوجه عام في الماضي ، فهناك ما ينبىء بأنه سوف يصح وبوجه اوضح في المستقبل ، ذلك ان حرب اكتوبر قد ادخلت تغييرات جسيمة على قوام النزاع ، وعظمت من شأنه دوليا كما لم يحدث من قبل .

ولا شك في ان مجريات النزاع بعد حرب اكتوبر سوف تصادفها منعرجات ومنعطفات شتى ، وسوف تعتريها عوارض كثيرة يتعذر التنبؤ بها مقدما . ولكن مهما تعددت وتضاربت الاحتمالات ، فهناك اساسيات نابعة من صميم قوام تطور النزاع ، ذات الجذور الضاربة في الحاضر والماضي ،والتي تقبل ان يجري استكشاف ملامحها وتطوراتها مستقبلا .

وربما كان ابرز ما يستحق الاستطلاع ، وسوف نركز عليه بحثنا ، ابعادا ثلاثة لتطور النزاع تنبىء باكتساب اهمية بالغة في المرحلة القادمة :

ـ بعد ناجم عن اتجاه النزاع نحو « التصعيد » ، وسوف نستكشفه تحت عنوان « النزاع يفتتح عصر دبلوماسية الذرة اقليميا » .

ـ بعد ناجم عن اتجاه النزاع نحو « التخصيص » ، بمعنى نضج الظروف المحيطة بجوهر النزاع ولبه ، وبروز القضية الفلسطينية في المقدمة ، وتعليق مستقبل النزاع كله على مصيرها .

ـ بعد ناجم عن اتجاه « لتدويل » النزاع ، بمعنى اتخاذه تكأة لمواجهات دولية بسبيلها ان تحتل مقدمة المسرح العالمي .

واستنادا الى هذه الابعاد الثلاثة ، سوف نستشرف ضوابط لا بد ان تحكم النزاع ، وقسمات ينتظر ان تميزه في المرحلة القادمة ، ويجدر بنا ان نلتفت اليها .